

الفصل السادس

التعليم ووظائفه في المجتمع

مقدمة

يشير رالف لنتون (Linton : p . 15) إلى أن هناك بعض الخصائص المشتركة بين المجتمعات بصرف النظر عن أصول تلك المجتمعات أو تطورها . من أولى هذه الخصائص وأهمها أن المجتمعات وليست الأفراد هي الوحدة الرئيسية في صراعنا من أجل البقاء . وكل أبناء البشر يعيشون كأعضاء في جماعات منظمة ويرتبط مصيرهم ومقدراتهم بمصير ومقدرات الجماعة التي ينتمون إليها . والوليد البشري يولد ضعيفا ولايستطيع أن يحيا بمفرده دون مساعدة الآخرين . بل إن حياته كراشد أو كبير تعتمد في إشباع احتياجاته والوفاء بمطالبه على مساعدة الآخرين وتعاونهم . خذ مثلا بسيطا : لقمة الخبز التي نأكلها وتصور تضافر جهود الأفراد وراءها حتى وصلت إلينا وقس على ذلك كثيرا من أمور حياتنا . وهذا يؤكد أهمية تعاون الأفراد وتضافرهم مما يجعل حياتهم ممكنة ويسر عليهم سبل العيش من أمن ورخاء .

والخاصية الثانية للمجتمعات أنها تعمر عادة أكثر مما يعمر الأفراد ، فعلى الرغم من ظهور مجتمعات جديدة فإن الأفراد غالبا ما يولدون ويعيشون ويموتون كأفراد ينتمون إلى المجتمعات القديمة . وتبدو مشكلة الأفراد لا في مساعدتهم في تنظيم مجتمعات جديدة وإنما في تكييفهم كأفراد مع نمط الحياة الذي بلورته الجماعة التي ينتمون إليها .

والخاصية الثالثة : أن المجتمعات وحدات وظيفية فاعلة . فعلى الرغم من أنها تتكون من أفراد فإنها تعمل ككل . وتكون مصالح الأفراد خاضعة للمصلحة العامة للمجتمع . بل إن المجتمع لا يتردد في التخلص من أو القضاء على بعض الأفراد إذا كان ذلك في صالحه . ويستطيع المجتمع بما يملكه من قوى معنوية ومادية قاهرة أن يحمل الأفراد على تحقيق مصالحه والحفاظ عليها وحمايتها . فالأفراد يخوضون الحروب ويقتلون دفاعا عن مجتمعاتهم وصونها لها . والمجرمون يقضى عليهم المجتمع أو يتخلص منهم لأنهم عناصر مزعجة له . وهناك أمثلة أخرى كثيرة على التضحيات التي يقوم بها الأفراد في سبيل

المجتمع على اختلاف المستويات حتى مستوى الحياة اليومية العادية . وهذه التضحيات يقوم بها الفرد عن طواعية لأنه يحصل في مقابلها على الجزاء وأقله رضا الآخرين عنه واستحسانهم له . إن الانتماء إلى مجتمع لا بد وأن يتضمن بالضرورة التضحية ببعض الحرية الفردية مهما كان المجتمع متسامحا . ذلك أن ما يسمى بالمجتمعات الحرة ليست حرة على إطلاقها . . وإنما هي حرة بمقدار ماتشجع أفرادها على حرية التعبير في نطاق إطار معقول ومقبول . والمجتمع ينظم سلوك أفراده بكثير من القواعد والمعايير التي يسلك الفرد وفقا لها دون أن يحس أو يشعر بوجودها ، وإنما هي تعمل بطريقة تلقائية لاشعورية على تشكيل سلوك الأفراد وتوجيهه .

الخاصية الرابعة المشتركة للمجتمعات هي تقسيم العمل بين الأفراد . ففي كل مجتمع يكون من الضروري توزيع الأنشطة الضرورية لحياة المجتمع ككل على مختلف الأفراد . ولا يوجد مجتمع مهما كان بسيطا لا يميز بين أفرادها في تقسيم العمل . فهناك أعمال خاصة بالرجال وأخرى خاصة بالنساء . وهناك أدوار اجتماعية مختلفة يقوم بها الأفراد . . بعضهم يكون في مراكز القيادة وآخرون في مراكز التبعية . وأولئك وهؤلاء يتوزعون على مختلف الأنشطة والقطاعات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية والفكرية في المجتمع . وفي كل الأنشطة والقطاعات يكون اعتماد الأفراد كل منهم على الآخر . فلا تجار بدون زبائن ، ولا انتاج بدون مستهلكين . وقد سبق أن أشرنا إلى لقمة الخبز التي نأكلها كمشال على تضافر الجهود وراعا حتى صارت خبزا يؤكل . إلا أننا نحب أن نضيف هنا أن هذا الخبز ما كان ليصنع لولا أن هناك مستهلكين يأكلون ويتغذون عليه .

تلك هي الخصائص الرئيسية للمجتمعات على اختلاف شاكلتها ونظمها السياسية والاجتماعية . وفي كل هذه الخصائص تكون التربية بكل مقوماتها وسيلة المجتمع في الحفاظ على هذه الخصائص واستمرارها . ولمختلف المؤسسات الاجتماعية بداخل المجتمع ، بما في ذلك النظام التعليمي ووظائفها فيما يتعلق بالنظام الاجتماعي ككل . ومن ثم فإن كثيرا من القرارات التي تتخذها الدولة يكون لها نتائج هامة بالنسبة للمجتمع ومنظّماته المختلفة بما فيها التربية .

ومفهوم المجتمع كنظام للعلاقات المتبادلة ليس بالأمر الجديد أو المبتكر على

وجه التحديد . ومع ذلك فكثيراً ما تهمله الجهود التي تبذل لفهم تشكيلات هذا النظام . . فمثلاً إذا أرد شخص القيام بأية عملية جادة لتحليل عملية التعليم بالمدارس فإن العلاقة الخاصة بين المدارس والتلميذ يجب أن توضع في نطاق الاعتبارات المتعلقة بمختلف الوظائف التي تؤديها التربية . وكذلك الطرق التي تؤثر بها الجوانب الأخرى من النظام الاجتماعي على المدرسة . ولنتأمل نتيجة واحدة من النتائج الكثيرة المحتملة لهذا الاعتماد وذلك عندما تنظر مجموعات معينة في المجتمع إلى المدرسة منذ البداية على أنها مجرد مكان يرسل إليه الأطفال لإبعادهم عن البيت . عندئذ يغلب أن يكون لهذه النظرة إلى وظيفة المدرسة تأثير على ما يجري بالمدرسة . وبالمثل يمكن أن يختلف التأثير إذا نظرنا إلى المدرسة على أنها مجرد مكان لتلقي الدروس أو أنها مكان للتربية الشاملة.. وهكذا .

إن المدارس جزء هام من حياة الناس وهي من أهم المؤسسات الاجتماعية إن لم تكن أهمها . وهي هامة في حياة الفرد لأنه يقضي جزءاً هاماً من وقته فيها . إن أهم سمة تميز المدرسة عن غيرها أن كل فرد لابد أن يلتحق بها . إن القانون في معظم الأحيان يلزمه بالالتحاق بها .

وأهمية المدرسة لا تقتصر على الجانب التعليمي أو المعرفي فقط وإنما تمتد إلى الجوانب الاجتماعية والشخصية الأخرى للفرد . والآباء يتوقعون من المدرسة أكثر من كونها مجرد مكان للتعليم ، بل ويزداد احترامهم لها لدورها في تنمية القيم الخلقية والأنماط السلوكية الرشيدة في أبنائهم والالتزام بموصفات معينة من حيث المظهر والسلوك والتصرف . فللمدرسة تأثير على الطريقة التي يرتدون بها ملابسهم والطريقة التي يتصرفون بها لا في داخل المدرسة فحسب ، بل وخارجها أيضاً . ويجب أن نشير هنا إلى الوقت والجهد الذي تبذله المدرسة على الأهداف غير التعليمية في محاولتها تنمية الالتزام بقواعد عامة للسلوك لدى التلاميذ ومحاسبتهم على ما يصدر منهم من إساءة أدب باللفظ والسلوك غير المرغوب . ومطالبتهم في نفس الوقت بالتحلي بالأدب والخلق والاحترام لأنفسهم ولغيرهم .

لقد كان ظهور المدرسة تحدياً خطيراً للدور التقليدي للأسرة في التربية . وقد بلغ التحدي ذورته من جانب المدرسة عندما أصبحت تقوم بدور حاضنة الأطفال ، وهو من أخص خصائص الأمومة . ولا يمكن أن تعوض المدرسة الطفل عن الأم في

هذا الدور . بل ولا يمكن أن تعوض المدرسة الطفل عن حنان الأم وما تقدمه له من الإشباع النفسي والعاطفي الذي يحتاجه في هذه المرحلة . ومع هذا فإن هذا الدور الذي تقوم به المدرسة يبرره التغيير الذي حدث في تركيب الأسرة العصرية وظروفها سواء من حيث تزايد فترة بقاء الأب خارج المنزل أو تزايد دخول المرأة إلى ميدان العمل .

وهكذا تضافرت كل العوامل على استلاب الوظائف التربوية التقليدية التي كانت تقوم بها الأسرة واحدة تلو الأخرى . فاستلبت منها الوظيفة الدينية بظهور المنظمات الدينية ، والوظيفة الدفاعية بظهور الجيش . كما استلبت منها الوظيفة الاقتصادية بظهور المنظمات الصناعية والتجارية . . فبعد أن كان الوالد يعلم أبنه صنعه أصبح الإبن في حل من إقتفاء أثر أبيه وحتى إذا قرر أن يسير في نفس الطريق فإن أمر تدريبه وتعليمه سيتولاه أناس آخرون غير أبيه . كما استلبت من الأسرة وظيفتها التثقيفية بظهور القوى المعلمة المتخصصة في المجتمع .

وقد صاحب هذا التغيير في الدور التربوي التقليدي للأسرة ضعف سلطانها وتأثيرها على أبنائها . فلم يعد الأب والأم المصدر الوحيد للمعرفة واكتساب القيم الاجتماعية ومعرفة قواعد الحق والخير والجمال والصالح والطالح . . وإنما أصبح هناك أكثر من مصدر يستمع إليه النشء سواء من خلال الإذاعة والتليفزيون أو الصحف أو المجلات وغيرها من وسائل الاتصال الجماهيرية . وما يزيد من خطورة تأثير هذه الوسائل الجماهيرية تشييعها لأفكار معينة ومذاهب واتجاهات فكرية متباينة أو متضاربة مما قد يوقع النشء في حيرة يصعب معها التوجيه المدرسي والأسري ضرورة ملحة .

ويجب أن يكون لكل مجتمع حق الرقابة على الأجهزة الإعلامية المختلفة وتوجيهها الوجهة القومية التي تتماشى مع الأهداف الاجتماعية والقيم والمثل التي يقوم عليها المجتمع . كما يجب أن يكون هناك اتفاق عام بين كل القوى المعلمة في المجتمع على الأهداف الكبرى المنشودة بحيث يصبح دور كل منها معززا ومدعما لدور الأخرى لا هادما ومدمرا لها . وبهذا التفاهم المتبادل تصبح للقوى المربية للمجتمع دورها الهام في تقدمه ونهضته .

الجذور التاريخية لتطور المدرسة :

يمكن تعريف المدرسة في المجتمعات المعاصرة على اختلاف شاكلتها بأنها منظمة تتطلب من التلميذ الذي يلتحق بها أن يكون متفرغا لها وأن يكون في سن معينة ، وأن يكون تعلمه في فصول دراسية تحت إشراف وتوجيه المعلم لدراسة منهج تعليمي متدرج المستويات . ونحن إذا نظرنا إلى المدرسة في الماضي نجد أن غالبية المدارس في الدول المختلفة بما فيها دول أوروبا حتى منتصف القرن التاسع عشر لم تكن مدارس بهذا المعنى . لماذا ؟ :

أولا : لأن المدرسة الابتدائية في الدول الأوروبية على سبيل المثال لم تكن مدرسة عامة آنذاك ، ولم تكن تتطلب التفرغ الكامل من التلميذ . فمعظم التلاميذ في المناطق الريفية كانوا يذهبون إلى المدرسة لأيام محدودة في السنة . وكانت الممارسة الشائعة آنذاك ذهاب التلميذ إلى المدرسة يوما بعد يوم أو لمدة فصل دراسي واحد ، أو لعدة أسابيع قليلة في السنة . وفي الدول الاسكندنافية كان تعليم الأبناء في المنزل مكتملا لتعليمهم في المدرسة . وكان من المعروف أن مسئولية تعليم الطفل مهارات ومبادئ القراءة تقع على عاتق الأسرة والمنزل . وأصبح تعليم هذه المهارات مسئولية المدرسة الابتدائية .

ثانيا : لأن تحديد سن معينة للتلميذ لحضور المدرسة لم يكن معمولا به في البداية وإنما حدث هذا التحديد بالتدريج فيما بعد . وحتى قرن مضى كان سن الدخول أو الالتحاق بالمدرسة وسن الانتهاء منها مرنا وغير محدد بدقة .

ثالثا : لأن الوضع الراهن لنظام التدريس بالفصل قد أخذ صورته بالتدريج مع تزايد تجانس أعمار التلاميذ ومستويات تحصيلهم في الفصل الدراسي الواحد . وقد أشرنا في مكان آخر إلى أن التعليم في المنزل كان يسبق التعليم في المدرسة أو يصاحبه . كما كان نظام " العرفاء " * الذي يقوم بموجبه أحد التلاميذ النجباء في الفصل بتعليم باقي زملائه شائعا

* لمزيد من التفصيل عن هذا الموضوع ارجع إلى كتاب لنفس المؤلف بعنوان : تاريخ التربية في الشرق والغرب . القاهرة . عالم الكتب .

ومعمولا به في أوروبا لاسيما الجزء الغربي والشمالى منها خلال القرن التاسع عشر . ومن ناحية أخرى نجد أن تكنولوجيا التعليم الحديثة قد غيرت من الدور التقليدي للمعلم .

رابعا : لأن المنهج المتدرج في شكله الحالي يعتبر تطورا حديثا . وفي الماضي كان التلاميذ من مختلف الأعمار يتعلمون في فصل دراسي واحد وفقا لمنهج له تسلسله الخاص . وفيما بعد بدأ بالتدرج وضع منهج خاص لكل فصل دراسي .

خامسا: لأن حجم المدرسة قد نما من المدرسة الصغيرة ذات الفصل الواحد إلى مدرسة متعددة الفصول . وهكذا كبر حجم المدرسة مع تزايد العمران ونمو السكان وحركة التصنيع . وقد صاحب هذا التطور نمو مطرد في أعداد التلاميذ وأعداد المعلمين . كما صاحبه أيضا إطالة سن بقاء التلميذ في المدرسة وإطالة اليوم المدرسي أيضا .

سادسا : لأن أهداف المدرسة قد فتحت واتسعت في منظورها . وإذا كانت مدرسة أمس معنية بتعليم مهارات الاتصال الأساسية الثلاثة وهي : القراءة والكتابة والحساب ، فإن مدرسة اليوم أصبح من واجبها التثقيف والتربية وتنمية الشخصية والعقلية المتخصصة ، والتفكير النقدي والابتكار وتحمل المسئولية ومعرفة الدور الاجتماعي لكل من الذكر والأنثى ، والإعداد لسوق العمل وتنمية المواطنة الصالحة بصفة عامة . ووجد إلى جانب المعلمين أعضاء آخرون جدد مثل المشرف الاجتماعي والطبيب المدرسي والأخصائي النفسي والموجه التربوي والفني والمتخصص في الأجهزة والتكنولوجيا الحديثة .

سابعا : لأن نمو النظام المدرسي قد أدى إلى وجود أنظمة رئيسية وأخرى فرعية . وصاحب ذلك تعقد النظام نفسه في بنائه وهيكله ووظائفه ونظام إدارته والإشراف عليه ونظام تمويله . وتطلب ذلك الاستعانة بأعداد كبيرة من الإداريين من مديرين ومنفذين وعاملين في الشؤون الإدارية والمالية والسكرتارية والخدمات ، وأدى ذلك إلى وجود هرم للسلطة يتربع في أعلاه وزير للتعليم ومحته سلسلة من الحلقات التنظيمية المتدرجة على المستويات المختلفة القومية منها والإقليمية والمحلية .

ثامنا : لأن نمو النظام المدرسي وتشابكه في بنائه الهرمي والتنظيمي الذي أشرنا إليه أوجد نظاماً للإشراف أكثر إحكاما وانضباطا . وقد ساعد ذلك على توحيد طابع النظام من حيث معايير ومستوياته وأسلوب عمله . ووجد نظام للتأكد من التزام العاملين بالعمل وفق هذه المعايير والمستويات . وهكذا وجد نظام للتفتيش الفني والإداري والتوجيه التربوي في المدارس .

المحصلة النهائية لتأثير المدرسة :

تتكون المحصلة النهائية لتأثير المدرسة على التلميذ من جانبين رئيسيين

هما :

- ١ - جانب التحصيل المعرفي : وهذا يمكن قياسه وتحديد مستواه وهو الذي تهتمت المدرسة برصده وتسجيله في شهادة التلميذ وفي سجلاتها المدرسية . وهو عادة يكون نتيجة جهد المعلمين في المدرسة .
- ٢ - جانب التحصيل الاخلاقي : وهذا لا يمكن قياسه ولا تقوم المدرسة برصده أو بتسجيله في سجلاتها العادية . ويكون عادة نتيجة جهد كل العاملين في المدرسة بما فيهم غير المعلمين . وقد يكون لهؤلاء تأثير كبير على أخلاقيات تلاميذ المدرسة . وهم عادة من العاملين في الخدمات المدرسية مثل خدمات المعامل والورش والساحات الرياضية والفنون والمسرح والرياضة وكذلك خدمات المطاعم والبوليفيات .

المدرسة كنظام اجتماعي :

إن المدرسة نظام اجتماعي . وهي كأي نظام اجتماعي آخر تقوم على أسس ومبادئ معينة . ومن أهم هذه الأسس بالنسبة للمدرسة السلطة المشروعة . فالتلاميذ تابعون لمعلميهم بحكم أن هؤلاء لديهم المعرفة والمهارة التي يحتاج إليها التلاميذ . وينسحب مبدأ السلطة على العلاقات الداخلية التي تشكل المدرسة سواء بين التلاميذ وأقرانهم أو بين المعلمين بعضهم بعضا أو بين التلاميذ والمعلمين أو بين هؤلاء وبين إدارة المدرسة .

والمدرسة نظام اجتماعي بحكم كونها منظمة تقوم في بنائها على الأفراد ولها أيضا طرائقها وتقاليدها الخاصة التي تشكل ثقافتها ، وبالتالي تحدد سلوك المعلمين والتلاميذ وغيرهم من المتصلين بالمدرسة . ومع أن ثقافة المدرسة هي التي

تحدد معايير السلوك الجيد والردئ والنجاح والفشل وما يتصل بذلك من أهداف ووسائل ، فإن هذه الشقافة تحتوي على عناصر غير متجانسة ، بل متضاربة أحيانا . فالتلاميذ على سبيل المثال قد تكون نظرتهم إلى أنفسهم ألا يجهدوا أنفسهم إلا بمقدار ما يكفل لهم الحد الأدنى للنجاح ، في حين أن معلمهم يتوقعون منهم أن يبذلوا قصارى جهدهم في تحصيل العلم .

والمدرسة نظام اجتماعي بحكم كونها جزءا من النظام الاجتماعي الأكبر ، وهو المجتمع . وللمدرسة علاقة معتمدة متداخلة مع هذا المجتمع وتعكس جوانب هامة منه . كما أن المدرسة بدورها تؤثر في المجتمع من خلال دورها في تشكيل التلاميذ . . وهذا يعني أن التغيرات الاجتماعية ذات المجال الواسع مثل الطرق الجديدة للتكسب أو العيش أو المعتقدات السياسية والاقتصادية الجديدة تؤثر في النهاية على أهداف المدرسة وطرق التدريس ومحتوى المناهج . والمدرسة لا يمكن أن تنعزل عن مجريات الأمور في المجتمع ، وهي تتأثر بالتحويلات التي يشهدها .

ومن ناحية أخرى نجد أن النظام الأكبر الذي تعتبر المدرسة جزءا منه له دور أيضا في تعليم الأفراد . فمن خلال قيام الفرد بأدواره المختلفة في المجتمع يكتسب ألوان السلوك السائدة في ثقافته وطبقته الاجتماعية . . وهذا بدوره يؤثر سلبيا أو إيجابيا على ما يتعلمه الفرد في المجتمع .

وظائف المدرسة :

تناول كثير من المربين تفصيل الحديث عن وظائف المدرسة . ومن المعروف أن للمدرسة وظائف متعددة منها وظائف محافظة تهدف إلى الحفاظ على المجتمع واستمرار تقاليده . ومنها وظائف تجديدية تهدف إلى تطوير المجتمع وترقيته . ويورد تالكوت بارسونز أربع وظائف للمدارس العامة هي :

- ١ - تحرير الأطفال من الأسرة أو العائلة .
 - ٢ - تعليم المعايير والقيم الاجتماعية على مستوى أعلى مما هو متاح لدى الأسرة .
 - ٣ - تمييز التلاميذ على أساس تحصيلهم الفعلي وتقويم هذا التحصيل .
 - ٤ - اختيار وتوزيع المصادر البشرية على الأدوار المختلفة في المجتمع .
- ويرى بارسونز أن الوظيفة الثالثة هي من أهم الوظائف لما يترتب عليها من

إضفاء ميزة لمجموعة من الأفراد على مجموعة أخرى في نفس النظام مما يؤدي إلى توتر في النظام . ولكن هذا التوتر يتوازن بما يقوم به النظام من ناحية أخرى بالتكامل بين الأفراد من خلال تشريهم لقيم مشتركة بينهم . ويمكننا من ناحية أخرى أن نعرض لتفصيل الكلام عن وظائف المدرسة في السطور التالية :

١ - تعليم النظام وآداب السلوك :

تحرص المدرسة على تعليم تلاميذها النظام وآداب السلوك ، وذلك بتعويدهم على الالتزام في سلوكهم بالقيم والمبادئ والقواعد الرشيدة التي تؤمن المدرسة بها . وتختلف المدارس في ذلك تبعاً لما يسود مناخها العام من علاقات اجتماعية سليمة وسمعة خارجية طيبة . فهنا تتفاضل المدارس . فمن المعروف أن بعض المدارس استطاعت أن تبني لنفسها سمعة طيبة على مر السنين سواء من الناحية النظامية والسلوكية والجو الاجتماعي الذي يسودها ، أو من الناحية التحصيلية والأكاديمية للتلاميذ . وللمدرسة توقعاتها من التلاميذ . وعلى كل تلميذ أن يحرص على تلبية هذه التوقعات والعمل على تحقيقها . وهنانتسأل : ماذا تتوقع المدرسة من التلميذ ؟

تتوقع المدرسة من تلميذها منذ أن يلتحق بها عدة أمور . بعضها معروف ومعبر عنه صراحة ، وبعضها خفي مستتر يعرفه التلميذ من خلال تعايشه في المدرسة وتعامله مع العاملين فيها . والتلميذ نفسه قد لا يعرف بعض هذه الأمور . وقد لا يعرف أن هناك أموراً لايسمح له بها في فصول المدرسة مع أنها مباحة له في خارج الفصول مثل الأكل أو المضغ أو التحدث مع زملائه . ومن هنا كان على إدارة المدرسة أن تعد للتلاميذ الجدد الذين التحقوا بها برنامجاً توجيهياً في بداية العام الدراسي تؤكد لهم من خلاله أهمية حسن سيرهم وسلوكه في المدرسة ، وأنها تمنحهم شهادة بذلك . وقد تؤثر هذه الشهادة سلباً أو إيجاباً على مستقبل التحاقهم بالمعاهد الأخرى أو الوظائف التي يسعون إليها . كما تبلغهم بما ينبغي عليهم مراعاته في المدرسة وما تتوقعه من سلوك منهم في داخل حجرة الدراسة وخارجها . ومن أهم الأمور التي تتوقعها المدرسة من تلميذها ما يأتي :

١ - أن يحترم معلميه ويبجلهم ويوقرهم ويطيع أوامرهم وينزلهم من نفسه منزلة والديه .

- ٢ - أن يحترم كل العاملين في المدرسة بما فيهم زملاؤه التلاميذ .
- ٣ - أن يواظب على الحضور إلى المدرسة ولا يتغيب عنها إلا بعذر مقبول .
- ٤ - أن يحرص على نظافته وحسن مظهره الشخصي .
- ٥ - أن يحضر معه إلى المدرسة كتيبه وكراساته وأدواته التي يستخدمها فيها .
- ٦ - أن يراعي الأدب والنظام والهدوء في حضوره طابور الصباح والسير في صفوف إلى الفصول .
- ٧ - أن يتجه إلى مقعده بهدوء ويجلس عليه ويهيء نفسه للدرس بتحضير الكتب والأدوات اللازمة ويضعها فوق درجه .
- ٨ - ألا يتأخر لأي سبب عادي عن مواعيد الحصص ، ويجب أن يكون موجوداً في الفصل قبل دخول المعلم .
- ٩ - أن يحسن الاستماع إلى تدريس المعلم ويعمل ما يطالبه به في جو من الهدوء والنظام .
- ١٠ - أن يلتزم بالأدب والنظام وطلب الإذن عندما يريد شيئاً من المعلم أو عندما يريد الاشتراك في المناقشة .
- ١١ - أن ينتظر دوره في الكلام أو التحدث في الفصل وعندما يأذن له المعلم بذلك .
- ١٢ - أن يلتزم في حديثه في داخل الفصل وخارجه بأسلوب الأدب والاحترام ولا يستخدم الألفاظ النابية أو الجارحة التي تؤلم الآخرين .
- ١٣ - ألا يأكل في الفصل ولا يشرب ولا يمضغ لبانا أو يسرح شعره أو ينام أو يخرج عن مقعده أو يحدث أصواتاً برجله أو بغطاء درجه أو ما شابه من الأمور التي تخل بنظام وهدوء الفصل .
- ١٤ - أن يقوم بعمله في الفصل بجهد واهتمام وهدوء سواء أثناء شرح المعلم أو أثناء قيامه بالأعمال التحريرية أو العملية .
- ١٥ - ألا يتدخل في عمل تلميذ آخر ولا يعطله عن عمله ولا يعتدي على ممتلكاته الخاصة .
- ١٦ - ألا يدمر أثاث المدرسة وأجهزة المعامل والورش والملاعب وما شابه ذلك .

- ١٧- أن يحرص على نظافة المدرسة وألا يشوه درجه بالكتابة عليه وألا يشوه جدران الفصول ودورات المياه والممرات بالكتابة عليها . ولا يرمي أي فضلات على الأرض .
- ١٨- ألا يقطف الزهور أو يدوس النباتات بقدمه أو ما شابه ذلك .
- ١٩- ألا يعتدي على زملائه لفظيا أو جسميا ، ولا يستخدم أسلوب السب أو التهديد أو العنف أو السيطرة على غيره .
- ٢٠- أن يغادر الفصل في هدوء ونظام وبدون هرولة أو جلبة أو ضوضاء .
- ٢١- أن يؤدي أعماله المنزلية بانتظام ولا يؤخر عمل اليوم إلى الغد .
- ٢٢- أن يعمل بجهد واهتمام في تحصيل الدروس واكتساب العلم .
- ٢٣- أن يحرص في سلوكه العام خارج المدرسة على الأدب والاحترام حتي لا يسيء إلى سمعة المدرسة وسمعته الشخصية .
- ٢٤- أن يلتزم بقول الصدق وعدم الكذب أو الغش أو الخداع في حياته العامة والخاصة .

٢ - نقل الثقافة :

إن وظيفة التربية من وجهة نظر المجتمع ككل ، بل كثيرا ما تكون من وجهة نظر المجموعات داخل المجتمع هي المحافظة على الثقافة . وتشمل الثقافة بطبيعة الحال أكثر من مجرد المعرفة المتراكمة في كل ميدان من ميادين المعرفة . فهي تتضمن القيم والمعتقدات والمعايير المتوارثة جيلا بعد جيل ، وإن كان يحدث فيها تعديلات متكررة على مدى تاريخ المجتمع . إن التربية تنقل ثقافة الجيل الماضي إلى الجيل التالي . وهي بهذا تعمل على مساعدة الصغار على الأخذ بوسائل الكبار .

وانتقال الثقافة وتراكمها من جيل إلى جيل له دلالاته المميزة للإنسان منذ الأصول الأولى للمجتمع البشري . وأصبح دور التربية النظامية واضحا بتطور تاريخ الإنسان على نحو ما يشير إليه " بورش كلارك " :

« إن أقدم نظم التعليم لم تكن تزيد على تثقيف امرأة لبنت أو رجل لصبي ، وهما يسيران معا يتحدثان ويعملان . ويمكن أن نقول بأنه لم تكن هناك دورس

أولية في العصر الحجري لتعليم تقطيع الحجر ، وإنما كان الصبي يتعلم ذلك بمراقبته الكبار . ومع تزايد مخزون الإنسان من المعرفة وزيادة تعقد المجموعات التي يعيش بينها أصبح من الضروري تطوير الوسائل المتخصصة في عملية نقل الثقافة لتقوم بما تخلت عنه الأسرة . وإبان معظم التاريخ الحديث وعلى امتداده في الماضي كانت التربية الرسمية أو المدرسية مقصورة على أقلية ضئيلة من أعضاء المجتمع هم عادة النخبة الممتازة الحاكمة أو أعضاء الجماعات الدينية . ومع ذلك فإن الانقلاب الصناعي أنتج فيما أنتج قيما من المعرفة الجديدة التي أدت بالمعرفة البشرية والمهارات الفنية إلى أن تدفع بقوة خارج حدودها الضيقة نسبيا وترتب على ذلك أيضا تغير البناء الاجتماعي للمجتمع تغيرا جذريا ، فلم تعد الأسرة هذه الوحدة الأولية للانتاج كما كان الحال وقت سيادة الاقتصاد الزراعي . وأصبح عدد كبير من الرجال أنفسهم يتركون بيوتهم كل يوم للعمل بالشركات الصناعية أو المكاتب وقضاء ساعات طويلة من وقتهم خارج المنزل .

فهذا التحول الذي طرأ على البناء الأساسي للمجتمع عمل على تفكيك وحدة الأسرة . وأدى تزايد الوظائف المتاحة التي يحتاج كل منها إلى مهارات ومعلومات مختلفة إلى أن أصبح من المتعذر على الأعضاء الجدد في المجتمع التعلم بواسطة ملاحظة والديه فحسب . واتسع مجال الاختيار أمام الصغار للمهارات التي يمكنهم الحصول عليها بصورة أكثر مما كان عليه الحال بالنسبة لأبائهم . ولم يعد عائل الأسرة هو الذي يقوم بتعليم أبنائه صنعته أو حرفته ليتكسبوا منها .

وقصارى القول أن التعليم المدرسي أصبح ضرورة حين أصبح البيت والمجتمع غير مؤثرين أو غير كافيين لتعليم الأطفال وإعدادهم لمرحلة الرشد . وقد أدى تغير طبيعة المعرفة وظروف العمل إلى دخول أطفال عاديين إلى المدرسة . وأصبح للمدارس دور في انتقال الثقافة واستمرارها أكثر اتساعا وعمقا إلى حد بعيد . وهذا لا يعني أن الأسرة لم تعد بذات أهمية كعوامل للتكيف الاجتماعي ، أو أن المدرسة أخذت على عاتقها كل ما كانت تقوم به الأسرة من وظائف فيما يتصل بتهيئة الصغار تهيئة اجتماعية . وبالرغم مما يبدو من اتجاه نحو إلحاق الأطفال بالمدارس في سن أصغر ، فإن الأسرة لاتزال بالفعل هي العامل الوحيد في تهيئة الطفل اجتماعيا خلال السنوات الأربع أو الخمس الحرجة الأولى من حياته . فهذه

الفترة هي التي يتعلم الطفل فيها الكلام ويكون العلاقات الاجتماعية الأولى الهامة التي تؤثر كثيرا في توافقه مع البيئة وتشبع حاجاته من العلاقات الاجتماعية الهامة التي تؤثر كثيرا في توافقه مع البيئة وتشبع حاجاته من العلاقات المتبادلة مع غيره من الأشخاص في المواقف المختلفة . ويبدأ الطفل أيضا في تشرب القيم الثقافية واكتساب العادات الاجتماعية مما يمكنه من القيام بدوره كعضو في المجتمع طوال البقية الباقية من عمره .

إن الأسرة لاتفقد اهتمامها بالطفل حين يبلغ سن الدراسة . . ففي معظم الأحوال يستمر تأثير الوالدين والإخوة والأخوات وأعضاء الأسرة الواسعة في التطبيع الاجتماعي للطفل أثناء تربيته تربية مدرسية . ويستمر هذا التأثير فيما بعد ذلك بصورة أقل . ويبدو أن كثيرا من المشكلات التي تواجهها المدرسة تنجم عن تقسيم مسئولية تربية الصغار بينها وبين الأسرة . وقد تتعامل المدرسة مع أطفال اكتسبوا بالفعل بعض القيم التي قد تتعارض مع القيم التي تأخذ المدرسة على عاتقها غرسها وتعليمها . كما تتعامل في نفس الوقت مع المؤثرات المناقسة التي قد تأتي من الأسرة أثناء تعلم الطفل بالمدرسة . وهذا يجعل واجب المدرسة أكثر صعوبة . إذ يتوجب على المدرسة أن تنقل إلى الطفل ثقافة معقدة تنطوي على قدر كبير من المعارف المتراكمة والمهارات المتنوعة ومجموعة من القيم والمعايير النظرية المتشابكة التي تشتمل على الأسس الأيديولوجية للتراث . إن الاستقرار والاستمرار في المجتمع يتوقف على إجادته مواطنيه مهارات الاتصال والمبادئ السياسية والدينية والاجتماعية التي يقوم على أساسها نظام المجتمع . كما ينتظر من المدرسة أن تعلم الطفل المثل العليا التي ينشدها في الحياة . وتتضمن التهيئة الاجتماعية تعلم المهارات واكتساب المعلومات المتعلقة بالطريقة التي يعمل بها المجتمع أو التي ينبغي أن يعمل بها ، وهو ما يشكل جزءا من إعداد الطفل للتصرف وفقا للأدوار التي يقوم بها العضو الراشد في المجتمع . وربما يتضمن ذلك أهم جزء من عملية التهيئة الاجتماعية وهو التمثيل اللاوعي وتشرب المعتقدات والقيم ونماذج السلوك . وسرعان ما يبدأ الطفل قبل سن المدرسة بمحاكاة ضروب من سلوك والديه وإخوته وبعض أقرابه . وعندما تضاف شخصيات جديدة إلى دائرة الطفل من ذوي الشأن الآخرين المحيطين به - مثل معلمه وزملائه في الفصل وغيرهم - فإن تأثير هؤلاء جميعا على سلوكه يزداد

تنوعا ، كما يزداد أيضا احتمال نشوء صراع في تصرفاته القائمة على المحاكاة .
ولا بد أن يواجه الطفل مهمة تصنيف الناس الذين يعاملهم عن وعي أو غير وعي
على أساس ما يسمح به من تأثير لهم على سلوكه .

ولما كان الأطفال يقضون شطرا كبيرا من ساعات يومهم بالمدرسة ، أو في
أنشطة ذات صلة بالمدرسة ، فليس مما يبعث على الدهشة أن يكون لأولئك الذين
يقابلهم الطفل بالمدرسة تأثير عام على سلوكه بما في ذلك تكوين طريقته في
تقييم الأشياء ومواقفه إزاء مختلف المعايير الاجتماعية وسلوكه بوجه عام . فعن
طريق توسيع دائرته مع الآخرين ، يستطيع الفرد أن يجد فرصة لإعداد نفسه
إعدادا ملائما لمختلف الأدوار التي يجب أن يضطلع بها البالغ في المجتمع . .
ولكي يقوم الطفل بدور البلوغ على وجه مناسب يجب أن يتعلم دور الأب أو الأم ،
ودور التلميذ والمعلم ومرشد المجموعة ، ودور الزوج أو الزوجة . . ويجب أن
يتعلم الأطفال شيئا عن دور عائل الأسرة مهنيا والوظائف المتاحة في المجتمع . .
وتستطيع الفتاة القيام بدور موظفة أو عاملة بالإضافة إلى دورها الطبيعي كزوجة
وأم . وبالرغم من أن الأطفال لا يتعلمون قدرا كبيرا من بعض هذه الأمور قبل أن
يبلغوا مرتبة الكبار ، فإن كثيرا من القرارات التي يجب أن يتخذها الطفل - وإن
كان قد يلقى فيها معاونة من أسرته أو معلمه أو مشرفه أو غيرهم من الكبار -
تتطلب منه أن يعرف شيئا عن الوظائف المتاحة في مجتمع الكبار . يضاف إلى
هذا أن الطفل يبدأ في تحصيل قدر أوفر من القدرات العامة للقيام بأدوار الكبار
في سن مبكرة . وتلعب المدرسة دورا أكبر في مساعدة الأطفال على تعلم ضبط
انفعالاتهم والتعامل مع مراكز السلطة وإدراك وجود هيئات ذات سلطة في
المجموعات . ولا يمكن أن نغفل دور وسائل الإعلام الجماهيري في التأثير على
عقول أطفالنا وانعماجاتهم . فهذا التأثير هو إحدى حقائق الحياة العصرية التي
يجب أن يقام لها وزن في أي بحث يدور حول عمليات التكيف الاجتماعي ونقل
ثقافة المجتمع .

وهناك سمة لعملية التطبيع أو التهيئة الاجتماعية كثيرا ما يغفل أمرها .
وهي ذات صلة وثيقة بأية مناقشة لوظائف المدرسة في المجتمع تتعلق بطبيعة
العملية العقلية نفسها . وتتضمن التهيئة الاجتماعية معرفة الطريقة التي تحل
بها المشكلات كجزء من العملية التربوية وطريقة فهمنا للعمليات العقلية . وليس

من الواضح مثلا أي الطرق المختلفة لحل المشكلات أكثرها نفعاً بوجه عام ، ويؤيد كثير من العلماء أساسا الطريقة الاستقرائية بالنسبة لأنواع معينة من المشكلات . في حين أن آخرين يؤكدون أن الطريقة الاستدلالية أنفعها جميعا . ولم يستكشف أصحاب النظرية التعليمية بصوة كاملة الأدوار النسبية للشراب والعقاب في عملية التعلم . . وبالرغم من أن معظم التربويين إبان السنوات الأخيرة يتشبثون بافتراض أن التعلم الأمثل يحدث تحت ظروف المكافآت ، فإنه لم يتضح كلية أن هذا هو الحال في كل مواقف التعلم . وحتى لو افترضنا أن نوعا من التعزيز الإيجابي أكثر ملاءمة للتعلم ، فربما تثبت في النهاية أن المكافآت الناشئة عن مواقف التعليم نفسه هي كل ما يحتاج إليه في أنواع معينة من التعلم . ذلك أن اقحام المكافآت الخارجية في المواقف عنوة قد لا يفيد إلا في تعويق العملية التربوية .

٢ - تبسيط الثقافة وغربلتها :

كان تراكم الثقافة ونموها أحد الأسباب الهامة التي ساعدت على ظهور المدرسة . ولذلك كان نقل الثقافة إحدى الوظائف التقليدية للمدرسة . وقد سبق أن أشرنا إلى ذلك . ولكن مع تزايد حجم الثقافة والمعرفة البشرية بدرجة هائلة في جوانبها الكمية والنوعية كان على المدرسة أن تقوم بدور الوسيط في تبسيط الثقافة . . وأصبح على المدرسة أن تختار من بين هذا الخضم الثقافي الهائل العناصر الثقافية البسيطة التي يمكن أن تقدمها للتلاميذ . كما أن من العناصر الثقافية ما أصابها البلى أو عفا عليها الزمن أو تقادم عهدها ولم تعد صالحة وترى المدرسة أنه يجب عليها تنقيتها وغربلتها لتقديمها للناشئة . وتعتبر عملية الاختيار من بين هذه العناصر من أهم المشكلات التي تواجهها المدرسة . وتزداد حدتها على مر الأيام . بيد أن نجاح المدرسة في القيام بهذا الدور يتوقف على مساندة القوى الاجتماعية لها . والمدرسة بقيامها بتبسيط الثقافة وغربلتها توفر وقتا وجهدا كبيرا على الأفراد ، وبدون المدرسة يصبح من الصعب إن لم يكن من المستحيل على الأفراد تحصيل هذا القدر الثقافي . ذلك أن المدرسة بحكم مايتاح لها من خبراء في إعداد المناهج الدراسية وتنظيم المادة الدراسية والخبرات التعليمية يمكنها أن تقوم بدور لاينافس في هذا المجال .

٤ - إحداث التماسك الاجتماعي :

تقوم المدرسة من خلال دورها في نقل التراث الثقافي بتوحيد مشارب الأفراد الثقافية واتجاهاتهم الفكرية وانتانهم إلى قيم اجتماعية واحدة . بمعنى آخر تقوم المدرسة بصهر الأفراد في بوتقة واحدة تؤدي إلى تماسكهم الاجتماعي تماسكا عضويا حيا . ويصبح مثلهم في توادهم وتراحمهم كمثل البدن إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى . وهكذا تصبح التربية عاملا فعالا في إقامة نظام قومي متماسك يقوم على التضامن والتعاون والتكافل . وقد سبق أن أشرنا إلى أن التربية سلاح ذو حدين ، فكما تكون وسيلة للتقارب والتفاهم ، تكون وسيلة للتفتيت والتناحر عندما تخرج عن هدفها الأسمى لتستخدم في أغراض أخرى لا يؤيدها المربون .

وينبغي أن تهدف المدرسة إلى إحداث التماسك الاجتماعي الذي يضمن وحدة المجتمع في زمن الحرب والسلام على السواء . وذلك من خلال تكوين رأي عام مستنير تتوحد اتجاهاته الفكرية العامة وتتوحد جهوده نحو البناء والتجديد والتطوير ، ويصعب التأثير عليه بالإشاعة وبالذعاية المفرضة المزللة لاسيما في زمن الحرب ، حيث يكون الناس أكثر حساسية وميلا لتصديق الإشاعة الكاذبة .

وينبغي أن تحصن التربية النشء ضد الانسياق الأعمى وراء الأفكار الكاذبة وذلك من خلال تنمية تفكيرهم الناقد القادر على تفحص الآراء ووزنها . كما ينبغي أن تنمي فيهم الحساسية الاجتماعية نحو مجتمعهم وأمتهم ، وأن تنمي فيهم الانتماءات الصحيحة للإنسان ، وهي بالنسبة لبلادنا العربية انتماءات إقليمية عربية إسلامية إنسانية كما سبق أن ذكرنا .

٥ - نشر التجديدات والمعرفة الجديدة :

مع أن الوظيفة الأولى للمدرسة قد تكون نقل المعرفة والعادات والتقاليد الموجودة بالفعل ، فمن التناقض أن ينتظر من المؤسسات التربوية أن تقوم بدور في تشجيع التغيير وتوجيهه . وقد كانت المؤسسات التعليمية ، لاسيما الجامعة ، بؤرة البحث عن المعرفة الجديدة . وقد نشأ قدر كبير من فيض الأفكار الجديدة التي نجم عنها مثل هذا التغيير السريع ، بل أصبح التأكيد على البحث العلمي بوصفه الوظيفة الكبرى للجامعات يتزايد بصورة واضحة إبان نصف القرن الماضي

بما أدى إلى زيادة وسرعة الكشوف العلمية . ولم تبخل المجتمعات على أولئك الأفراد الذي قدموا أكبر قسط للمعرفة وكشف طرق جديدة للتعامل مع العالم المادي والنفسي والاجتماعي . ومنحتهم أرفع مكانة ومنزلة .

ودور المؤسسات التربوية في تبني التغييرات والتجديدات بارز على مستوى الجامعة بنوع خاص . ولكنه متوقع من المدارس الابتدائية والثانوية أيضا . وعليها أن تقوم بدورها في هذه العملية . ويمكن أن تقوم بدور أكبر بتأثيرها في سرعة التغيير في المجتمع عن طريق الأنشطة الحلاقة من جانب التلاميذ ، وعن طريق غرس القيم الاجتماعية التي يجب أن تتماشى مع الرغبة في التقدم ، والقائمة على الانجازات في العلوم وفي مجالات المعرفة الأخرى .

ولا تقتصر مسؤولية المدرسة على إعداد الأطفال للتعامل مع المجتمع سريع التغير الذي سيواجهونه عندما يكبرون . وإذا كان لا همد للمجتمع أن يتقدم بخطاه المعتادة ، فإن النظام التعليمي يجب أن يعمل على إمداده بأشخاص يستطيعون تطوير المعارف والأساليب الجديدة . وكان للتطور التكنولوجي في المجتمع أثر عميق في التعليم الابتدائي والثانوي . وتبذل جهود لتطوير محتويات المناهج التقليدية ، وبخاصة في الرياضيات والعلوم لمواجهة مطالب المجتمع التي يفرضها التغيير كهدف يستحق النضال من أجله ؛ وبكل ما يتاح من موارد .

٦ - توزيع الأفراد على الوظائف في المجتمع ؛

يجب على كل مجتمع أن يضع أساسا يحدد بناء عليه الأعضاء الذين يتولون الوظائف المختلفة فيه ويؤدون الأدوار الضرورية لاستمراره وتقدمه . وتختلف الوظائف المتاحة وتنوع من مجتمع لآخر . كما أنها تتضمن مسؤوليات ومطالب غير متساوية من شأغليها . فبعض الوظائف أصعب من الأخرى . وبعضها أكثر خطورة ، ومنها البغيض إلى النفس ، ومنها ما يحتاج إلى تدريب خاص أو مهارات . ومثل المهارات المطلوبة لبعض الوظائف ندرة أكثر من تلك المهارات المطلوبة للوظائف الأخرى . ولهذا لا يمكن التسوية بين جميع شأغلي الوظائف في المكافآت أو المنزلة . ولهذا يحدث التنافس بين أعضاء المجتمع حول تلك الوظائف التي تحظى بأكبر قدر من المكافآت ، والتي تحمل أضخم مسؤولية ومكانة اجتماعية . . ويقترح سكينر - عالم النفس المعروف - بأن يعمل شأغلو

أبغض الوظائف أو أكثرها مدعاة للضجر ساعات أقل مع تقاضيهم مكافآت مساوية لما يتقاضاه غيرهم ، ومن ثم تصبح الأعمال الوضيعة عملا جذبا بنوع خاص . ومع ذلك ظلت هذه الفكرة موضع جدل .

إن معظم المجتمعات تتبع عادة التقاليد السائدة أو المتوارثة فيها في تعيين الأشخاص في الوظائف أو في تحديد الأفراد الذين تتاح لهم فرصة التنافس على وظائف معينة . فالأساس العائلي والعرقى والديني ونبيل الميلاد والجنس ، كلها أمثلة للميزات التي كانت ولا تزال تستخدم بكثرة لتحديد الوظائف التي يمكن للفرد أن يتقلدها في المجتمع . ومع ذلك فإن انتشار التكنولوجيا في المجتمع خلق موقفا تزايدت فيه أهمية تعيين الأشخاص في الوظائف الملائمة لهم . وكلما زادت ملائمة الأعضاء في مجتمع لأوضاعهم وللأدوار التي يقومون به ، أدى المجتمع وظيفته في يسر . وهو ما أشار إليه " رالف لنتون " في تحليله للوظيفة والدور في المجتمعات البشرية . وتصبح المتطلبات الضرورية للقيام بمختلف الوظائف أكثر تعقيدا . ومحتاج إلى تدريب أطول وقدرة أوفر . وبالتالي فإن الميزات الموروثة تقل فائدتها كمعيار فعال للتعيين في الوظائف في حين تزداد أهمية المعايير الموضوعية مثل تحصيل الأفراد وقدرتهم وكفاءتهم .

لقد أخذت المدرسة من الأسرة قسطا أكبر من المسئولية لتهيئة الصغار تهيئة اجتماعية . وأصبحت بذلك مركزاً لعدد كبير من أنشطة الطفل . وأصبح ما يقوم به الطفل في المدرسة مقياسا من أهم المقاييس لقدراته وكفاءته . ومع انتشار التعليم الجماهيري أصبحت المدرسة جزءا لا يتجزأ من عملية تحديد مكانة الفرد بعدة طرق من أهمها :

١ - توفير البيئة التي يستطيع فيها الطفل إظهار قدراته وامكانياته .

٢ - توجيه الأفراد إلى المهن الضرورية المختلفة .

٣ - اكساب الفرد المهارات الضرورية لأداء مختلف الوظائف .

إن نمو التعليم العام جعل في مقدور أي طفل الحصول على المهارات الضرورية لأداء أعمال أية وظيفة في المجتمع في حدود قدراته الخاصة . وإذا كانت النظرية لا تنجح دائما عند التطبيق ، فالواقع أن المدرسة تمنح معظم الأطفال فرصة فريدة لإظهار ما يستطيعون عمله . والدليل واضح على أن التحصيل التربوي يحدد

الفرص المتاحة للفرد بصرف النظر عن حسبه ونسبه . وتقوم المدرسة بدور الحكم على منجزات الفرد منذ البداية . ذلك أن النجاح الذي يحققه الطفل في ظل النظام التربوي والقرارات الخاصة بأنواع التدريب المناسبة ، وفرص النمو المتاحة أمامه ، كلها أمور تترك للمدرسة . وقد يؤثر الطفل ووالده في هذه القرارات . ولكن تظل المدرسة صاحبة اليد الطولى في تحديد مكانة الفرد في المجتمع . ومن نقاط الاختيار الحرجة في تحديد مكانة الفرد تقرير ما إذا كان يسمح للتلميذ بدراسة المقررات التي تخوله حق دخول الجامعة وهي الطريق المعبد للوظائف العليا . وحتى عندما يدرس هذه المقررات يكون مستوى تحصيله محددًا لالتحاقه بالكليات والتخصصات المختلفة . لأن المهارات والمعرفة التي يكتسبها الفرد خلال تعليمه تعتبر عوامل هامة بطبيعة الحال في تحديد وظيفته . ولكن المدارس ليست جميعها في مستوى واحد من حيث نوع التربية التي تقدمها أو حتى من حيث أنواع التدريب النوعي التي تتيحها .

ولما كانت بعض المدارس تفوق الأخرى ، فإن شهرة المدرسة ومنزلتها تصبح في أغلب الظن عاملا هاما في تقييم الفرد فيما بعد بصرف النظر عن تدريبه الحقيقي وقدراته . ومن ثم فإن خريج مدرسة أرقى قد يجد فرصا أكثر في الوظائف من خريج مدرسة أدنى منزلة ، حتى لو كان الأخير مساويا له في المؤهل . وشبيه بهذا خريج المدرسة الثانوية العامة ، فهو لا يلاقي عناء في الالتحاق بالكليات على عكس نظيره خريج المدرسة الثانوية الفنية .

الجذور التاريخية للعلاقة بين التعليم والعمل :

عندما نتبع الجذور التاريخية لصلة التعليم بالعمل نجد أنه قبل وجود المدرسة كمنظمة جماهيرية كان الأطفال يتعلمون مهارات العمل في الميادين المختلفة من خلال الاحتكاك والاتصال الفردي المباشر والتعلم المباشر على يد حرفي أو مهني على غرار نظام التلمذة الصناعية في العصور المتأخرة . فكان الأب يعلم أبنه ، والأم تعلم ابنتها ، والجيران أو أصحاب الحرف يعلمون الأبناء والأطفال في ميادين عملهم . وهكذا كان التعليم بالممارسة والخبرة والتجربة في ميدان العمل سواء كان ميدان الزراعة أو الصناعة أو التجارة . وقد عمل التعليم الرسمي المدرسي في القرنين التاسع عشر والعشرين على هدم هذه العلاقة الطبيعية بين التعليم والعمل . واعتبر كثير من الناس أن انتشار التعليم قيمة

في حد ذاته. ولكن البعض الآخر كانوا غير راضين عن هذا الوضع الذي أصبح التلاميذ أو الأطفال بموجبه يتعلمون من خلال الكتب ، في الوقت الذي كان ينبغي فيه أن يشبعوا مطالب فهوم الجسمي والعقلي وحب استطلاعهم في هذه الفترة المبكرة من حياتهم من خلال تعلمهم المهارات وخبرات الحياة العملية والواقعية .

وفي القرن التاسع عشر نجد أن المربين الأوربيين الذين تدور أفكارهم التربوية حول الطفل قد اهتموا بالخبرات التربوية التي تكتسبها المعرفة والمهارات المهنية . فالمرابي الفرنسي المعروف " جان جاك روسو " على سبيل المثال ومن بعده تلاميذه قد سلكوا هذا الاتجاه . وكان من آراء روسو في تربية " إميل " أن يقوم المشرف عليه بتعليمه معرفة متخصصة في مجال مهني معين كالنجارة مثلا من خلال ما يعرف بالتلمذة الصناعية والحرفية على أساس التدريب غير المتفرغ ، وإنما لبعض الوقت . وكذلك المرابي المعروف بستالوتزي ، أنشأ مدرسة للفقراء كانوا يتعلمون فيها من خلال الحرف والمهارات المهنية إلى جانب التعلم من الكتب المدرسية . كما قام زميله دي فيلينبرج De Fellenburg بإنشاء مدرستين زراعتين إحداهما بمصاريف باهظة لأبناء الأغنياء والأخرى متواضعة لأبناء الفقراء . وكتلتا المدرستين جذبت اهتمام المربين الزائرين من كل أنحاء أوروبا . وقد قام اللورد بروهام Brougham في بريطانيا بتوجيه اهتمام الرأي العام إلى هذه التجارب والنماذج الأوربية . وقد بدأ بالفعل في العشرينات والثلاثينات من القرن التاسع عشر عمل تجارب مماثلة لتجربة فيلينبرج عن المدرسة الزراعية للفقراء . وكان إجراء هذه التجارب في ريف إحدى المقاطعات البريطانية المعروفة باسم ساسكس على أرض تملكها الليدي بايرون Lady Byron وفي إيلنج Ealing وأماكن أخرى .

وقام فرويل بإنشاء مدرسة تقوم على أساس فلسفته التربوية الدينية بعد تجارب مماثلة على غرار مدرسة بستالوتزي . وكان وقت ما بعد الظهر في هذه المدرسة يخصص للعمل الإنتاجي في المزرعة أو الحقل أو الغابة أو الورشة أو المنزل . وفي الدول الاسكتندنافية ظهرت المدارس الشعبية Folk High Schools لربط التعليم بالعمل . وفي نظم التعليم في الدول التي كانت تعرف بالدول الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي كان هناك اهتمام كبير بالتربية البوليتكنيكية والتدريب العملي والميداني لربط المدارس بمواقع العمل والإنتاج . وفي مصر والدول العربية وكذلك الدول الأوربية في العصور الحديثة كانت هناك محاولات

كثيرة لادخال التدريب العملي في المدارس وربط التعليم بالعمل . ومازالت هذه المحاولات مستمرة للبحث عن أحسن صيغة لتكييف التعليم لسوق العمل ومتطلباته * . ومازال اللوم بوجهه للتعليم على أنه قاصر عن إعداد الفرد لسوق العمل . والواقع أن هذه مشكلة مزمنة مازالت تبحث عن حل . والحل الواقع يكمن في زيادة فرص العمل المتاحة للشباب ، وهذه مسئولية رجال السياسة والاقتصاد لأن التعليم لا يخلق وظائف ، ولكنه يعد لها . وإذا ماتوفرت هذه الوظائف فإن أي نقص في إعداد وتكوين الخريجين يمكن تلاقيه بالتدريب قبل العمل أو في أثناءه .

إحداث الحراك الاجتماعي :

يقصد بالحراك الاجتماعي بمفهومه الإيجابي الترقى في السلم الاجتماعي . وقد أشرنا لدور التربية في هذا الصدد . والمدرسة إحدى منظمات التربية . ومن ثم يرتبط دور المدرسة في توزيع الأفراد على الوظائف في المجتمع بدورها في الحراك الاجتماعي . ذلك أن التربية بما تكسبه للفرد من مهارات معرفية وعملية إلى جانب تزويدها له بالخلفية الثقافية تزيد من قيمة الإنسان الاجتماعية والاقتصادية على السواء . فزيادة المهارة المعرفية والسلوكية تعني فرصا أحسن للعمل وزيادة في الدخل ، وترتّب على زيادة دخل الفرد تحسّن في وضعه الاقتصادي والاجتماعي . كما يترتب على ذلك بالتالي ترقية أذواقه وميوله واهتماماته وزيادة طموحه في الحياة وآماله فيها وتوقعاته منها . وكل هذه جوانب تؤدي به في النهاية إلى الترقى في السلم الاجتماعي . وهكذا تصبح المدرسة عاملا هاما في رقي الأفراد وتقدمهم وعاملا هاما أيضا في التقريب بين الطبقات الاجتماعية وإذابة الفروق بينها .

حضانة الأطفال :

وهي من الوظائف المستحدثة للمدرسة . والواقع أن الالتحاق الإجباري بالمدرسة يسد الثغرة بين الوقت الذي يعتمد فيه الطفل في حياته اعتمادا كاملا على والديه ، والوقت الذي يصبح فيه الفرد قادرا على القيام بمسئوليات الكبار .

* لمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع أنظر لنفس المؤلف كتاب : الإصلاح والتجديد التربوي في العصر الحديث . القاهرة ، عالم الكتب .

ففي هذا الوقت يحدث النضج الجسمي والتوافق الاجتماعي والنضج العقلي . وتقوم المدرسة بتدبير برنامج تعليمي يهدف إلى ملء هذه الشفرة القصيرة بطريقة مفيدة للمجتمع على المدى الطويل . وإلى جانب ذلك تستخدم المدرسة أيضا كمكان ترسل إليه الأطفال بعيدا عن البيت ، فضلا عن أنها تكفل للأم الراحة المؤقتة من واجب العناية بالأطفال . وأوضح تأثير لهذا الجانب من عملية التربية هو زيادة عدد الأدوار المتاحة للنساء ، فلم يعد لزاما على المرأة الشابة أن تفكر في قضاء الجزء الأكبر من حياتها في العناية بأطفالها . بل تستطيع بدلا من ذلك التطلع إلى القيام بخدمة المجتمع وخدمة أسرتها بمختلف الطرق . في نفس الوقت تستطيع أن تخلق لنفسها أدوارا جديدة ذات مغزى تثبت شخصيتها ، إلى جانب دورا كأم . وكان لذلك تأثير على تركيب القوة العاملة ، وزيادة عدد الإناث اللاتي يعملن في الوظائف ، وأتيح لهن وظائف كانت مغلقة في وجوهن من قبل . إن المدى الذي بلغته النساء من الاندماج المتزايد في شئون المجتمع يمكن أن يعزى جزئيا إلى الوظيفة التي تؤديها المدرسة .

أما من وجهة نظر القوة العاملة في المجتمع ، فإن زيادة استخدام مواهب المرأة يبدو أنه جليل النفع . ويمكن أن يؤدي دور المدرسة كمنظمة لحضانة الطفل إلى تفاقم الصعوبات التي تواجهها المدرسة في القيام بمسئولياتها الكبرى في تهيئة أعضاء المجتمع الجدد تهيئة اجتماعية . ولما كانت مسئولية التهيئة الاجتماعية مقسمة بين المدرسة والأسرة ، فإن ذلك يتطلب التعاون والمؤازرة المتبادلة بينهما ، وعندما ينظر إلى المدرسة على أنها مخزن للأطفال للتخلص من طاقتهم لراحة الكبار من أعضاء الأسرة ، فحينئذ تتعرض علاقة المؤازرة المتبادلة بين المدرسة والأسرة لخطر التفكك . إن إيجاد التوائم في العلاقة بين المدرسة والأسرة مسألة صعبة لكنها ذات أهمية خطيرة بالنسبة لنجاح المشروع التربوي .

ويجب الإشارة إلى أن تأثير المدرسة في الأدوار الجديدة للمرأة يزيد أيضا من احتمال تعارض أدوار أفراد الأسرة . وهذا قد يؤدي بدوره من بعض الوجوه إلى إضعاف بناء الوحدة العائلية . فالأم التي يجب عليها أن تختار بين إعداد طعام الغداء لزوجها والقيام بعملها خارج المنزل تواجه تعارضا بين دورين . وهذا يعني أن أي جزء من أجزاء النظام التربوي المختلفة يؤثر في الأجزاء الأخرى ، وأنه لا يمكن فهم أحدها دون الرجوع إلى بقية النظام ككل .

٩ - معرفة الدور الاجتماعي لكل من الذكر والأنثى :

تلعب المدرسة دوراً هاماً في تعريف الأفراد بدورهم الاجتماعي سواء كانوا ذكوراً أم إناثاً ، وهي بهذا تساعد الفرد على تأهيله للقيام بدوره كذكر أو أنثى . وما يتصل بذلك القيام بدور الزوج أو الزوجة والأم والأب ، وهذا الدور الهام للمدرسة يعتبر جزءاً من عملية التهيئة الاجتماعية للفرد التي سبق أن أشرنا إليها .

١٠- الإصلاح الاجتماعي :

إن آخر وظيفة للمدرسة يتوجب بحثها تتعلق بدور التربية في التأثير على مجرى الإصلاح الاجتماعي . وهي وظيفة جدلية . فالمجموعات والأفراد يحاول دائماً الاستفادة من المدرسة بوصفها عاملاً فعالاً في إحداث التغييرات المرغوبة في البناء الاجتماعي أو فعالية المجتمع . وتصبح المدرسة بسبب نصبها في عملية التهيئة الاجتماعية ، وأهميتها بوصفها نشاطاً بارزاً في حياة كل عضو من أعضاء المجتمع تقريباً ، البؤرة الأولى في نظر المصلح الاجتماعي ، سواء كان اهتمامه متوجهاً إلى تخفيض عدد الجرائم ، أو تحسين المركز الاجتماعي للمجموعات المختلفة . وبالإضافة إلى وظيفة المدرسة في تيسير الكشف عن المعرفة الجديدة كثيراً ما ينتظر منها أن تقوم بنصيب في تشجيع أنواع أخرى من علاقتها بالمجتمع ، قد تتراوح بين المطالبة بأن توفر المدرسة خدمات خاصة لمجموعات معينة من الأطفال ، وبين مطالبة الأنظمة المدرسية بالتخلص كلية من المدارس المنفصلة المخصصة للأقليات أو ذوي الامتيازات .

ولقد استجابت المؤسسات التربوية إلى هذه التوقعات والضغوط بطرق شتى وكثيرة للغاية . وأصبحت المدارس في معظمها تتجه إلى التسليم بأن جزءاً من المسؤولية على الأقل يتمثل في الإصلاح الاجتماعي الذي ألقى على عاتقها . وهناك عدد من العوامل التي تحدد دور المدرسة في حركات الإصلاح الاجتماعي من بينها الاعتبارات السياسية والضغوط الخاصة بالميزانية وربما أهمها جميعاً مواقف المواطنين قاطبة . ولقد لعبت المجموعات المنظمة للإصلاح دوراً متزايد التأثير في حث المدارس على القيام بدور أكثر فعالية في الحركات التي يقصد بها تعديل البناء الاجتماعي في المجتمع .

وليس من اليسير دائما رسم خط يميز بين المطالبة بسياسة جديدة تهدف إلى تنفيذ اصلاح اجتماعي وبين المطالبة باصلاح تربوي لذاته . وعلى الرغم من ذلك فللمدرسة دور هام في التغيير الاجتماعي يبرز من خلال وظائفها الأخرى . فمن خلال دورها في غريلة الثقافة والتجديد الثقافي والحراك الاجتماعي وتنمية المعرفة الجديدة وغيرها تحدث المدرسة تغيرات حقيقية في المجتمع وفي تطوره الاجتماعي .

المهارات في مقابل النمو :

تختلف آراء المربين حول الوظيفة الرئيسية للمدرسة . فبعضهم يرى أن وظيفتها هي تزويد المتعلم بالمهارات المعرفية ، وآخرون يرون أن وظيفتها هي مساعدة المتعلم على النمو الكامل لشخصيتها . ويترتب على اختلاف وجهات النظر اختلاف في المثل الأعلى والأهداف والأغراض المنشودة . ويمكن أن نعرض لهذا الاختلاف في الجدول التالي :

وظيفة المدرسة		الترقيات
تنمية الشخصية	تعليم المهارات	
مواطن حر متنور	متعلم ماهر	المثل الأعلى
التفكير النقدي - تفتح العقل - التعرف على	اتقان المواد الدراسية	الأهداف و
المشكلات - فرض الفروض المناسبة - اختيار	المهارة في التحصيل	الأغراض
المعلومات المناسبة لحل المشكلة - محاولة التوصل	استرجاع المعلومات	السلوكية
إلى حلول بديلة - اختبار صدق الحل والتوصل	إجراء العمليات . . .	
إلى الحل الصحيح وتطبيق ذلك في حالات أخرى		

ويقول برتراند راسل في مقالته عن التربية لاسيما في الطفولة المبكرة (Connell : p.67) : إن القضية الرئيسية في التربية تتعلق بما إذا كان ينبغي علينا أن نستهدف حشو العقل بالمعرفة التي لها استخدام علمي مباشر أم نحاول أن نربي في تلاميذنا الملكات العقلية الجيدة في جوهرها أو حد ذاتها ؟ . . . ويقدم

لنا " راسل " مثالا فيقول : من المفيد أن نعرف أن القدم يساوي ١٢ بوصة ، والiardة تساوي ثلاثة أقدام ، لكن هذه المعرفة ليست لها قيمة ذاتية أو جوهرية. ذلك أنها تعتبر عديمة القيمة أو النفع بالنسبة لأولئك الذين يستخدمون النظام العشري (المتر والسنتيمتر) . وتذوق رواية أدبية أو عمل فني قد لا يكون له نفع كثير في الحياة العملية . إلا أن هذا التذوق يحقق للإنسان استمتاعا عقليا لا يقدر بثمن ويعطيه فرصة يشعر خلالها بقيمته الحقيقية كإنسان . ومن هنا ينبغي ألا تقتصر النظرة إلى التربية على القيمة النفعية للمعرفة واستخداماتها المختلفة . والواقع أن هناك خلافا في وجهات النظر بين الارستقراطيين والديمقراطيين فيما يتعلق بقضية التربية من أجل النفع أو الاستخدام . فالأرستقراطيون يرون أن الطبقة المتميزة أو الرفيعة يجب أن تتعلم من أجل شغل وقت فراغها بطريقة مناسبة ، وأن الطبقة الأخرى أو التابعة يجب أن تتعلم من أجل العمل فيما يعود بالنفع على الآخرين . أما وجهة نظر الديمقراطيين فهي تعارض النظرة السابقة . فهم يكرهون تعليم الارستقراطيين ما هو عديم الجدوى أو الفائدة . وفي نفس الوقت ينادون بأن التربية من أجل كسب العيش يجب ألا تقتصر على ما هو مفيد ونافع . وهكذا نجد أن هذه الدعوى الديمقراطية تعارض غمط التربية الكلاسيكية القديمة ، وفي نفس الوقت تطالب بأن يتعلم العمال الدراسات الإنسانية الكلاسيكية . وربما أن الفكرة الرئيسية وراء هذه الدعوى هو عدم تقسيم المجتمع إلى طبقتين : أحدهما مرفهة ناعمة ، والأخرى عاملة كادحة لاحظ لها من النعمة أو الرفاهية .

وهناك نقطة أخرى تتعلق بالمفاضلة بين القيمة المادية والقيمة العقلية للمعرفة. فبعض الناس يرى أن الهدف الرئيسي للتربية يجب أن ينصب على زيادة انتاج السلع كما وكيفا . . ومثل هؤلاء الناس لا يتحمسون مطلقا لتعليم مواد مثل الأدب أو الفن أو الفلسفة وغيرها من الدراسات الإنسانية أو الكلاسيكية . وهم يؤكدون على تعليم العلوم الطبيعية لقيمتها النفعية وأهميتها في حياة الإنسان المعاصر . وفي تأكيد ذلك يقولون إن دراسة المتنبئ مثلا أو شكسبير لن تساعدنا كثيرا في بناء عالمنا الجديد ، لكننا لانستطيع بناء هنا العالم الجديد بدون العلوم الطبيعية . وهذه الدعوى وإن بدت جذابة إلا أنه يمكن الرد عليها ومعارضتها . فنحن وإن اتفقنا على تأكيد أهمية دراسة العلوم

الطبيعية فلا يمكن أن نذهب معها في التقليل من أهمية دراسة ما عداها من العلوم . فالمعرفة والعلم لهما قيمة جوهرية في ذاتهما بصرف النظر عن القيمة العملية أو النفعية . وانتماء الإنسان إلى عالم الإنسانية الكبير يحتم عليه معرفة أشياء كثيرة عن الآخرين الذي يشاركونه الحياة على هذه الأرض . قال تعالى : وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا" . وهذا التعارف لا يتم إلا من خلال دراسة آداب ومعارف وثقافات الشعوب الأخرى . وحياة الإنسان على مستواه الفردي أشمل وأوسع من أن تكون قاصرة على العمل والإنتاج فقط ، وإنما هناك جوانب أخرى يجب أن يشبعها الإنسان في حياته منها عبادته لمخالقه ومشاركته الاجتماعية لإخوانه في جدهم ولهوهم ومرحهم . وهناك أيضا استمتاعه الشخصي بوقت فراغه فيما يجد نشاطه وبروح عن نفسه . ذلك أن النفوس تصدأ كما يصدأ الحديد . ومن هنا فإن استمتاع الإنسان بالأدب والفن وتذوقه للجمال هي مقومات رئيسية في بناء شخصيته ولا يمكن التقليل منها .

وهكذا فإن التربية التي يجب أن نستهدفها لتربية الإنسان المعاصر إنما تقوم على المزج بين الثقافتين العلمية والأدبية والإنسانية . ويجب أن تتضمن هذه التربية الدراسات الإنسانية التي تجعل من الإنسان إلى جانب كونه منتجا ومفيدا مثقفا مؤمنا وأعباء متفتحا على العالم ، يحيا حياة نابضة بالخير والجمال ، يستمتع بها ويستطيع أن يشغل وقت فراغه فيما يفيد . إن حياة الإنسان تصبح تافهة وآلية وضيقة جدا إذا هي اقتصر على الجوانب المادية النفعية للأشياء . ومن ثم فإن دراسة بعض جوانب التاريخ العالمي والآداب العالمية والفنون الجمالية المختلفة ضرورية لحياة الإنسان . إن دراسة العلوم الإنسانية لا تقل عن أهمية دراسة العلوم الطبيعية إن لم تتفوق عليها في بعض الأحيان .

الإدارة المدرسية والمناخ المدرسي :

المدرسة الحقة هي التي يسيطر عليها مناخ إيجابي سليم . ويشعر التلاميذ بارتياح لحضورهم إليها كما يشعر المعلمون بارتياح لتدريسهم بها . وفيها يعمل الجميع على تنشيط الاتجاه إلى الرعاية والاهتمام . ويتطلب ذلك بالضرورة وجود إدارة مدرسية فعالة تستند في إدارتها على العلاقات الإنسانية والمشاركة في اتخاذ القرار من جانب المعلمين والآباء وممثلي المجتمع . ويجب أن تستهدف الإدارة المدرسية تكثيل قوى العاملين والتلاميذ والآباء من أجل العمل على

تحقيق أهداف المدرسة ، وأن تكون هناك متابعة مستمرة لأنشطة المدرسة وتغذية مستمرة لتصحيح المسار ، وضمان أداء كل فرد لواجبه الصحيح . إن مدير المدرسة هو الممثل الأول للإدارة المدرسية ، وهو المسئول الأول عنها . ولهذا يجب أن يتمتع بصفات شخصية ومهنية تؤهله لتحمل مسئوليات هذا العمل الضخم . وتعتمد قوة مدير المدرسة على عدة عناصر رئيسية في مقدمتها مدى قدرته على تجنيد طاقات العاملين ومدى تواجده وحضوره في مختلف أنحاء المدرسة ، ومدى اشتراكه الفعال في البرنامج التعليمي للمدرسة ، ومدى قدرته على تحقيق الاتصال والتواصل فيما يتعلق بأهداف المدرسة . إن مديري المدارس في ممارستهم لدورهم في الإدارة المدرسية لا يؤثرون تأثيرا مباشرا على التحصيل الأكاديمي للتلاميذ بنفس الدرجة التي يؤثر بها معلموهم من خلال التعليم المباشر . لكن مديري المدارس يمكن أن يؤثروا على التدريس والممارسات التعليمية في الفصول الدراسية من خلال القرارات التي يتخذونها ، والتي تتعلق بصياغة أهداف المدرسة ووضع مستويات عالية للتحصيل ، وتنظيم الفصول الدراسية من أجل الدرس ، والتعليم ، وتوفير المصادر الضرورية اللازمة للتعليم والتعلم ، والإشراف على أداء المعلمين ومتابعة تقدم التلاميذ والعمل على توفير مناخ إيجابي منظم للتعلم .

وهكذا نجد أن على مدير المدرسة مسئولية كبرى . وقد تبلغ هذه المسئولية درجة كبيرة في بعض النظم التعليمية المعاصرة منها اليابان . حيث يكون مدير المدرسة مسئولا عن المدرسة بل وعن سلوك الطلاب وسلوك المعلمين داخل المدرسة وخارجها . بل إن مديري المدارس اليابانية يشعرون بأن عليهم تحمل مسئولية ما يحدث من المعلمين والتلاميذ . تشير مجلة التربية المقارنة (١٩٩١) إلى أن الصحف اليابانية تنشر أحيانا انتحار مدير مدرسة لأن أحد التلاميذ أو المعلمين قد قام بعمل يشين المدرسة ويجلب لها العار (CE : p . 119) . إن ما يمثله مدير المدرسة اليابانية هي شخصية الرجل الخلاق شديد الحساسية . وقد تبدو مثل هذه الصورة متطرفة ، لكن هكذا يوصف مدير المدرسة في اليابان باعتباره قيادة تربوية .

أما من حيث العلاقة المهنية بين القيادة التربوية والمعلمين فقد أثبتت بعض الدراسات (313 . p . 1990 . ORE) أن المعلمين يفضلون نعت القيادة المهنية لا

الإدارية . حيث يقوم القادة التربويون من نظار وموجهين ومدرسين وأائل بالتخطيط والمناقشة ونقد أعمل المعلمين إيجابا وسلبا . بل إن المعلمين حسب هذه الدراسات يفضلون أيضا نوعا من الأتوقراطية من جانب القيادة التربوية بدلا من الدور السلبي .

ولكن يحول دون قيام القيادات التربوية بهذه الأدوار المهنية نحو المعلمين أنهم لا يجدون الوقت الكافي لأدائها . فمعظم وقتهم يضيع في الأعمال الإدارية والبيروقراطية اليومية التي يكلفون بها من جانب الإدارة العليا والسلطات الرئاسية . ويصدق ذلك على كثير من أنظمة التعليم المعاصرة بما فيها الدول العربية ومنها مصر . وقد أشارت إلى ذلك دراسة حديثة عن الإصلاح الإداري بوزارة التربية والتعليم في مصر (Hanson : p 59) . تقول هذه الدراسة إن من المفروض في أي نظام أن ينتقي أحسن العناصر لتولي مهام القيادة . لكن مثل هذا النظام في مصر موجود على الورق فقط . أما واقع الأمر فإن اختيار العناصر القيادية يتم بطريقة روتينية . وتستطرد هذه الدراسة فتقول إن رجال الإدارة التعليمية يولون اهتماما كبيرا للاحتفاظ بدورهم في نظام الأقدمية لأنهم يدركون أن ترقيتهم تعتمد بالدرجة الأولى على مدة خدمتهم أكثر من اعتمادها على نوعية أدائهم . وتقول الدراسة أيضا إن رجال الإدارة التعليمية في مصر على اختلاف مستوياتهم يخضعون لنظام واحد من التدريب والخبرة العملية . فهم يبدأون حياتهم كمعلمين ثم يترقون في السلم المهني للوظائف الأعلى . مثل هذا النظام أدى إلى وجود نمطية مشتركة في كل نظام الإدارة التعليمية . وتصف الدراسة رجال الإدارة التربوية في مصر بأنهم قادرون على الحفاظ على النظام القائم والقيام بإدارته بدرجة معقولة من الكفاءة . لكن هناك نزعة عامة بين القادة التربويين للنظر إلى الماضي لا المستقبل للتوصل إلى الحلول . وتمضي الدراسة فتقول إن الإصلاح الإداري التعليمي يركز أيضا على المشكلات القائمة والوضع الراهن بدلا من النظر إلى المستقبل .

المدرسة الناجحة :

تشير نتائج الدراسات العلمية (Fontana : pp .47 - 48) إلى أن المدارس التي تعتبر ناجحة من حيث نظامها المدرسي هي التي تتميز بالخصائص الآتية :

- ١ - أن تكون القواعد المدرسية قليلة ما أمكن ، ولكن يشترط في هذه القواعد أن تكون واضحة ومعروفة ومعلنة للجميع وتطبق بصورة منتظمة .
- ٢ - أن تكون واقعية محققة لاحتياجات المجتمع المدرسي وينظر إليها التلاميذ على أنها مناسبة وعادلة .
- ٣ - أن تكون القواعد قابلة للتعديل والتغيير كلما حدث ما يدعو لذلك حتى تتماشى مع الاحتياجات المتطورة والمتغيرة للتلاميذ والمجتمع المدرسي .
- ٤ - أن يكون للمدرسة قنوات واضحة وفعالة للاتصال بين التلاميذ والمعلمين وإدارة المدرسة على كل المستويات .
- ٥ - أن تكون القرارات التي يتخذها ناظر المدرسة غير اجتهادية بل قائمة على أساس موضوعي من القواعد والمعايير والقيم التي ينبغي على الجميع الالتزام بها .
- ٦ - أن تسمح المدرسة بوجود فرصة للحوار والتشاور الديمقراطي في الموضوعات الهامة ، وأن يشعر التلاميذ والمعلمون بأن لديهم الفرصة لإبداء رأيهم ووجهات نظرهم في هذه الموضوعات .
- ٧ - أن تقدم المدرسة تعليما مدرسيا فعالا في الفصول الدراسية يضمن النجاح لا الفشل لكل التلاميذ ، ويعمل على زيادة طموحاتهم وآمالهم الأكاديمية والتعليمية .
- ٨ - أن تظهر المدرسة بوضوح سواء بالقول أو العمل أن وجودها إنما هو لمساعدة التلاميذ وتمكينهم من التغلب على مشكلاتهم الشخصية والدراسية ، وأن تحرص على إظهار الاحترام الكامل لكل : مجموعات التلاميذ والمعلمين بدون أي تمييز أو محاباة لمجموعة على أخرى .
- ٩ - أن تقدم المدرسة فرص النشاط الثقافي والرياضي وشغل وقت الفراغ ، وأن تؤكد أن هذا النشاط هو جزء لا يتجزأ من المنهج المدرسي .
- ١٠ - أن تحرص المدرسة على العلاقات الوثيقة بينها وبين المجتمع المحلي بما فيه آباء التلاميذ ، وأن تحرص أيضا على اشتراك هذا المجتمع في الحياة المدرسية .
- ١١ - أن توفر المدرسة أسلوبا عمليا للتعرف على التلاميذ ذوي الاحتياجات

الخاصة ، وأن تعمل على تليتها والوفاء بها .

١٢- أن يتلقى تلاميذ المدرسة التوجيه السليم على طول حياتهم الدراسية بالمدرسة لاسيما في المواقف التي تتطلب توجيه التلميذ لنوع معين من الدراسة أو التخصص ، أو توجيههم للدخول لسوق العمل والإنتاج .

١٣- أن يشعر التلاميذ من مختلف القدرات أن المدرسة تعدهم للفرص والتحديات الواقعية التي يواجهونها في العالم الخارجي ، وأن تزودهم بالمعلومات الضرورية لهم عن هذا العالم .

١٤- أن يكون للمدرسة نظام فعال يضم ناظر المدرسة ومعاونيه لمواجهة مشكلات النظام المدرسي للتلاميذ والتغلب عليها ومعاونة التلاميذ على التغلب على أسباب خروجهم على هذا النظام .